العرب
الإثنين 2021/08/09
السنة 44 العدد 12143

ملحمة جو النعسان مع أردوغان

روبرت إليس
محلل سياسي مختص بالشأن التركي

كانت الطريقة التي تعامل بها الرئيس الأميركي جو بايدن خلال أول لقاء له مع الرئيس التركي رجب طيب أردوغان كمشهد من فيلم "ملحمة بستر إسكريجز" للأخوين كوين. فقد وعد الرئيس المنتخب حديثا بصفقة جديدة، وباستعادة القانون والنظام والتعامل مع الأشرار.

وكان لقاء بايدن الأول مع الزعيم الروسي فلاديمير بوتين موفقا. حيث كان الرئيس الأميركي واضحا في تحذيره من أنه إذا مات زعيم المعارضة أليكسي نافالني في السجن، فستكون لذلك عواقب وخيمة على روسيا. ثم في لقائه مع أردوغان على هامش قمة الناتو في بروكسل، كان نهج بايدن ضعيفا بشكل مفاجئ.

أمّا في ما يتعلق بانسحاب الولايات المتحدة من أفغانستان فقد كان واضحا أن الرئيس التركي لم يكن يفهم شيئا على وجه الدقة. وبدلا من مواجهة أردوغان بشأن القضايا الخلافية بين تركيا والولايات المتحدة، مثل شراء تركيا لصواريخ إس – 400 الروسية، وافق بايدن على أن تدعم تركيا الأميركيين وتحرس مطار حامد كرزاي الدولي في كابول.

بنفس الطريقة التي تُعرف بها أفغانستان باسم مقبرة الإمبراطوريات فإن إدارة الرئيس جو بايدن تخضع لما أصبح بالنسبة إلى عدد لا يحصى من الأمناء العامين والمبعوثين التابعين للأمم المتحدة مقبرة سياسية

وأوضح أردوغان أن العرض سيكون مشروطا بالدعم الدبلوماسي واللوجستي والمالي من الولايات المتحدة، مهما تطورت الأوضاع. وعلى الرغم من أن بايدن اعتبر الاجتماع "إيجابيا ومثمرا"، إلا أنه سيبقى مطروحا التحقق من مدى استعداد تركيا لتولي ما يمكن أن يصبح دورا قتاليا.

وحذرت حركة طالبان تركيا من الإبقاء على وجود عسكري في أفغانستان (دورها الحالي غير قتالي)، وتفيد تقارير بأن تركيا تخطط لنشر مرتزقة سوريين كما فعلت في ليبيا وقرة باغ. وقد طمأن أردوغان طالبان بأنه يمكنها إجراء محادثات مع تركيا بشكل مريح أكثر من الذي عهدته مع الولايات المتحدة "لأن تركيا ليس لديها ما يتعارض مع معتقداتها".

كما أشارت الصحافية تانيا غودسوزيان، من تي.آر.تي وورلد، إلى أن عرض تركيا لتأمين مطار كابول لا ينبغي أن يُنظر إليه كخطوة منفردة، بل على أنه جهد إضافي من أنقرة لتوسيع نفوذها في جميع أنحاء المنطقة. وذكر مايكل كوغلمان، كبير المساعدين في مركز ويلسون، في نفس البودكاست أن تركيا هي جزء من ثلاثي له امتداد في التاريخ مع أفغانستان وباكستان أيضا.

وفي هذا السياق، لا يزال ادعاء بايدن بأن الولايات المتحدة يجب أن تدافع عن الحرية والديمقراطية غير سليم. ويقدم دومينيك مويسي من معهد مونتين منظورا أوسع في "دروس مريرة من أفغانستان". ويقول "إن هزيمة الولايات المتحدة كمحررة أو غازية (اعتمادا على من تسأل) في أفغانستان تشكك في دور التدخل العسكري في عالم اليوم".

في فيلم مايك نيكولز "حرب تشارلي ويلسون"، الذي يتناول الدعم الأميركي السري للمجاهدين في الحرب السوفياتية – الأفغانية، يستنتج عضو الكونغرس ويلسون "هكذا هي الأمور. ندخل ونغير العالم بمثلنا العليا ثم نغادر. لكن الكرة تستمر في القفز". ولا تتغير بعض الأشياء أبدا.

وبنفس الطريقة التي تُعرف بها أفغانستان باسم مقبرة الإمبراطوريات، فإن إدارة بايدن تخضع لما أصبح بالنسبة إلى عدد لا يحصى من الأمناء العامين والمبعوثين التابعين للأمم المتحدة مقبرة سياسية: قبرص التي احتلها العثمانيون من القرن السادس عشر حتى القرن التاسع عشر، ثم ضمتها بريطانيا بعد الحرب العالمية الأولى. وبموجب معاهدة لوزان في عام 1923، تخلت تركيا عن جميع مطالباتها بالجزيرة حتى استغلها البريطانيون في 1955 ضد اليونان في مؤتمر عُقد في لندن.

بعد ثلاث سنوات من الاستقلال، انهار دستور تقاسم السلطة. وفي 1964 أرسل مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة قوة حفظ سلام للفصل بين القبارصة اليونانيين والقبارصة الأتراك. وبعد عشر سنوات، تدخلت تركيا بعد انقلاب القبارصة اليونانيين بهدف فرض الاتحاد (مع اليونان)، وعزز الاحتلال اللاحق انقسام الجزيرة.

ومنذ 1975 فشلت المحادثات بين الطائفتين تحت رعاية مجلس الأمن الدولي لتأسيس اتحاد ثنائي لطائفتين ومنطقتين، بشكل واضح في 2004 مع خطة عنان وفي كرانس مونتانا في سويسرا قبل أربع سنوات. وكما أشار الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو غوتيريش، فقد ضاعت فرصة تاريخية.

وأخبرني أحد القبارصة اليونانيين البارزين أنه يشعر بالمرارة بشأن الفرصة الضائعة للتوصل إلى اتفاق مع زعيم القبارصة الأتراك مصطفى أكينجي، الذي أطيح به الآن. قال إنه خطأ، خطأ، خطأ. وألقى أحد المعارضين اللوم على الرئيس القبرصي اليوناني نيكوس أناستاسيادس وحاجته لإعادة انتخابه. وفي أكتوبر الماضي جرى انتخاب إرسين تتار زعيما للقبارصة الأتراك بدعم كامل من أردوغان. والآن، هم يريدون دولتين منفصلتين.

وفي زيارة أخيرة لقبرص، طرح أردوغان خطته لفتح "مدينة الأشباح" فاروشا في تحد لقرارين من قرارات الأمم المتحدة. ولم تلاق هذه الخطة إدانة من وزير الخارجية الأميركي أنتوني بلينكين فحسب، بل أدانها مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة أيضا. وما يلفت النظر هو أن الممثل الأعلى للاتحاد الأوروبي جوزيب بوريل قد انضم أيضا إلى جوقة الإدانة وحذر من أن الاتحاد الأوروبي سينظر في الإجراءات في اجتماعه المقبل، والتي ينتظر أن يكون لها أثر سلبي في جدول الأعمال الإيجابي بالتأكيد.

قبل عشر سنوات، قال وزير الخارجية القبرصي السابق نيكوس رولانديس "نحن القبارصة اليونانيين نعيش في عالم خاص بنا. ننتظر أن ينجينا روبن هود، بينما تنحسر الأرض تحت أقدامنا باستمرار". وما لم يقرر بايدن الإنقاذ، في دور روبن هود، مع بلينكين في دور جون الصغير، فإن النظرة المستقبلية تبدو قاتمة لقبرص.

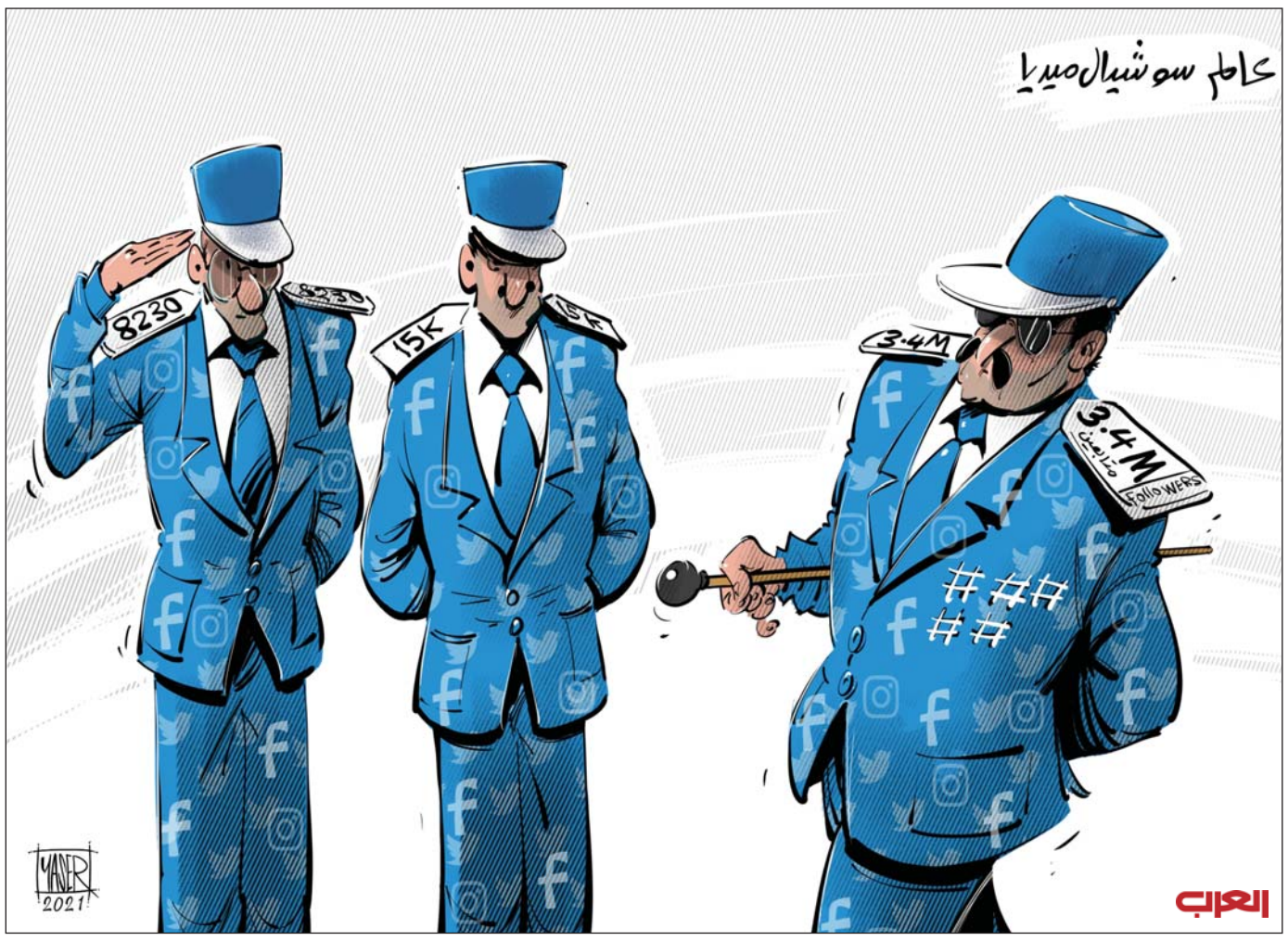

بين لبنان وقطاع غزّة

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

إذا كان إطلاق الصواريخ من جنوب لبنان في اتجاه مستوطنة كريات شمونة ومزارع شبعا يعني شيئا، فهو يعني أن لا وجود سوى لمرجعيّة واحدة تتحكّم بلبنان هي "حزب الله". هذا كلّ ما يمكن استخلاصه من الأحداث الأخيرة التي شهدها جنوب لبنان...

ليس "حزب الله" سوى لواء في "الحرس الثوري" الإيراني عناصره لبنانيّة. كلّ ما في الأمر، في حال أردنا تبسيط الأمور، أنّ "العهد القويّ" القائم منذ الحادي والثلاثين من تشرين الأوّل – أكتوبر 2016 ليس سوى "عهد حزب الله". يتأكّد يوما بعد يوم أنّ الحزب درس شخصيّة ميشال عون في العمق، طوال عشر سنوات، وصولا إلى فرضه رئيسا للجمهوريّة اللبنانية. عرف الحزب، ومن خلفه إيران، أن رئيس الجمهوريّة الحالي أفضل من يستطيع الوصول إلى التخلّص من الدولة اللبنانيّة ومؤسساتها ومن المسيحيين في لبنان.

في السنوات العشر، بين توقيع وثيقة مار مخايل في شباط – فبراير 2006... وانتخاب ميشال عون رئيسا للجمهوريّة، أثبت الأخير أنّه مستعد لتوفير كلّ غطاء مسيحي يحتاج إليه "حزب الله". شمل ذلك حرب صيف 2006 التي افتعلها الحزب واغتيال سامر حنّا الضابط الطيّار في الجيش اللبناني بحجة تحليقه في جنوب لبنان في منطقة محظورة على الجيش!

في كلّ الأحوال، إنّ ما يغطيه "العهد القويّ" حاليا ذو أبعاد إقليمية من جهة ويضع مصير لبنان كلّه على المحكّ من جهة أخرى. يؤكّد ذلك إطلاق الصواريخ من جنوب لبنان في هذا التوقيت بالذات. هذه الصواريخ رسالة إيرانية. فحوى الرسالة أن لبنان جزء لا يتجزّأ من المعركة التي يخوضها النظام الإيراني من أجل تأكيد أن مشروعه التوسّعي لم يمت. ليس جنوب لبنان سوى قطاع غزّة الذي تنطلق منه صواريخ "حماس" بمجرد أن تضغط طهران على الزرّ. يحصل ذلك في وقت لا وجود لحكومة لبنانية ولا وجود لرئيس للجمهوريّة يستطيع وضع النقاط على الحروف عبر تأكيد أن لبنان ليس "حزب الله". استطاع "العهد القويّ" إزالة أيّ خيط رفيع كان يمكن أن يفصل بين "حزب الله" والقرار اللبناني... بين الحزب والدولة اللبنانية. هذا ما فهمه العرب جيّدا وباكرا.

من أجل وصول جبران باسيل إلى رئاسة الجمهوريّة، يبدو العهد مستعدا لكلّ شيء، بما في ذلك الاستسلام الكامل أمام "حزب الله". هذا ما يرفضه معظم اللبنانيّين الذين أثبتوا مجدّدا أن بينهم من هو مستعدّ لمواجهة "حزب الله". هذا ما أثبته أهل بلدة شويّا الدرزية في قضاء حاصبيّا عندما اعترضوا راجمة صواريخ تابعة لـ"حزب الله" مع عناصر كانت تتولّى أمر هذه الراجمة.

يكشف هذا الحادث الخطير أنّ روح المقاومة الحقيقيّة لم تمت بعد في لبنان. قد يكون البلد مات، لكنّ بين أهله من لا يزال يدافع عن ثقافة الحياة. هذا النوع من اللبنانيين يعرف جيّدا أن الاستسلام لثقافة الموت ليس خيارا، كذلك ليس خيارا أن يموت أهل الجنوب من أجل انتصار "الجمهوريّة الإسلامية" في إيران.

في النهاية، ليست هناك في لبنان مرجعيّة سياسيّة تدرك أين مصلحة لبنان. هناك فقط مرجعيّة سياسيّة مستعدّة للرضوخ لما يطلبه "حزب الله".

ثمّة من سيقول إن الاعتراض على تصرّفات "حزب الله" هو الطريق الأقصر إلى اشتباك معه يهدّد السلم الأهلي. هذا منطق من برّر في أيّار – مايو 2008 غزوة "حزب الله" لبيروت والجبل من أجل إخضاع أهل السنّة والدروز... وإخراجهم من المعادلة السياسيّة اللبنانيّة نهائيا بغية استكمال سيطرة إيران على لبنان وضمّه إلى ما يسمّى "جبهة الممانعة".

أقلّ ما يمكن قوله إنّ الاستسلام لـ"حزب الله" لا يحمي لبنان بمقدار ما يجرّه إلى المزيد من الاستسلام، أي إلى الاضمحلال. ليس النهج الذي يسير فيه "العهد القويّ" غير نهج أخذ لبنان إلى الاضمحلال. حسنا، إنّ الرئيس السابق ميشال سليمان كان بين 2008 و2014 في قصر بعبدا. معروف في أيّ ظروف وصل سليمان، الذي كان قائدا للجيش في أثناء غزوتي بيروت والجبل، إلى رئاسة الجمهوريّة. كافأ "حزب الله" سليمان على وقوفه على الحياد، طالبا من ميشال عون انتظار دوره في الوصول إلى رئاسة الجمهوريّة.

ليس أمام لبنان سوى خيار واحد وهو خيار لن يقدم عليه «العهد القويّ» ويتمثّل في إعلان رئيس الجمهوريّة، هذا إذا كان بقي شيء من الجمهوريّة، أن لبنان ليس قاعدة صواريخ إيرانيّة

لا يمنع أن سليمان لم يذهب إلى النهاية في الاستسلام لـ"حزب الله". بادر إلى إصدار إعلان بعبدا الذي يدعو بطريقة أو بأخرى إلى تحييد لبنان عن النزاعات الإقليمية. ما لبث "حزب الله" أن سحب توقيعه عن الإعلان. بالنسبة إلى الحزب، الخيار اللبناني واضح كلّ الوضوح. لبنان ورقة إيرانية ولا شيء آخر غير ذلك.

أخيرا، رضخ لبنان وقبل أن يكون قطاع غزّة آخر. هذا القطاع الذي تحكمه "حماس" منذ العام 2007 والذي تحوّل إلى مجرّد "إمارة إسلاميّة" على الطريقة الطالبانية، نسبة إلى طالبان. ما وظيفة قطاع غزّة؟ الوظيفة الوحيدة له، إظهار أن إيران تمتلك صواريخ تستطيع إيصالها إلى تل أبيب. قد تكون هذه الوظيفة تغيّرت الآن مع تنشيط الدور المصري في القطاع.

ليس أمام لبنان سوى خيار واحد. هذا الخيار لن يقدم عليه "العهد القويّ". يتمثّل هذا الخيار في إعلان رئيس الجمهوريّة، هذا إذا كان بقي شيء من الجمهوريّة، أن لبنان ليس قاعدة صواريخ إيرانيّة.

بكلام أوضح، يفترض في لبنان تأكيد أنّه ليس قطاع غزّة وليس الجزء اليمني الذي يسيطر عليه الحوثيون الذين لا يتوقفون عن توجيه صواريخهم وطائراتهم المسيّرة إلى أهداف مدنيّة في المملكة العربيّة السعودية.

على ماذا يراهن "العهد القويّ" الذي لم يفعل شيئا من أجل منع تفجير مرفأ بيروت قبل سنة؟ راهن العهد على تمييع التحقيق في التفجير وذلك كي لا تكشف حقيقة من أتى بنيترات الأمونيوم إلى مرفأ بيروت ومن خزّنها في العنبر الرقم 12 ومن أخرج الكميات المطلوب إخراجها منه...

يراهن "العهد القويّ" على سراب، سراب انتصار إيران في المعركة التي تخوضها مع المجتمع الدولي من جهة وعلى صفقة بينها وبين الإدارة الأميركيّة من جهة أخرى. إنّه رهان خاسر من ألفه إلى يائه. رهان سيكلّف لبنان الكثير بعدما صار "حزب الله" مرجعيته الأولى والأخيرة!